الباب السادس

المعلوماتية جسر بين العلم والدين

- ❐ الفصل الأول: الإله المصدر المعلوماتي الأعلى
- ❐ الفصل الثاني: الفيزياء آلية الإله
- ❐ الفصل الثالث: المرسل الإله - المستقبِل الإنسان- الرسالة: المنظومة الثلاثية

من أهم القضايا الفلسفية التي تهم المثقف والعامي، والمؤمن والملحد، هي **العلاقة بين العلم والدين**، وسندرس في هذا الباب كيف يسهم مفهوم المعلوماتية في هذه القضية، وكيف يخدم في تضييق الفجوة المتوهَمَة بين العلم والدين.

و إذا طرحنا القضية على هيئة سؤال، نقول:

كيـف نربط بين مفهوم الإله الحكيم العليم وبـين العمليات الكونية الطبيعية التي يعتبرها التصور العلمي السائد عمليات عشوائية بلا هدف؟

وقد نجعل السؤال أكثر تخصصًا فنقول:

هل يمكن دينيًّـا وعلميًّا قبول مفهوم «**الطبيعية الدينية** Theitic Naturalism»، الذي يتبنى النظر إلى قوى الطبيعة وقوانينها باعتبارها آليات الإله في خلق و إدارته؟

ونعالـج هذا المفهوم في إطار العلاقة بين العلم والديـن في ضوء المعلوماتية من خلال ثلاثة فصول:

نبـين في الفصـل الأول «**الإله المصـدر المعلوماتي الأعـلى**» أن الملاحـدة والماديين المنصفين أصبحـوا يتبنون وجود **وعي كوني**، هو بمثابة المصدر المعلوماتي الأول، وهم بهذا يثبتون -دون قصد- حاجة الكون إلى خالق حكيم عليم.

وبعـد الإقـرار بمصدر معلومـاتي أعلى يبث معلومـات جديدة في عالمنـا، نتغلب في الفصل الثـاني، «**الفيزيـاء آليـة الإله**»، على مشـكلة: كيـف تُضـاف معلومات جديـدة إلى المحتوى المعلوماتي في الكون بالرغم من أن كوننا مغلق فيزيائيًّا، وكيف يتواصل الإله اللامادي مع عالم المادة.

وفي الفصل الثالث والأخير، «**المرسل الإله - المستقبل الإنسان - الرسالة: المنظومة الثلاثية**»

نقـوم بجولة مع القـرآن الكريم كنموذج معلوماتي متكامل، نتأمل من خلاله كيف اسـتخدم ربنا عَزَّوَجَلَّ مفهوم المعلوماتية للتواصل مع البشر.

وبهـذا الفصـل، وهذا الباب، نختم الكتـاب خير ختام، راجين من اللـه عَزَّوَجَلَّ، أن نكون قـد نجحنا في تجلية مفهوم المعلوماتية، باعتبارها البنية الأساسـية للوجود والبرهان الأكبر على الربوبية.

الفصل الأول

الإله المصدر المعلوماتي الأعلى

- الوعي الكوني حقيقة علمية
- مأذق الماديين
- ليس مجردًا وليس ماديًّا
- أوهام دوكنز
- القارئ الكريم

يتبنى كثير من الفلاسفة القدماء والمعاصرين وجود «**مبدأ معلوماتي أعلى**» يسري في كل شيء في الوجود، يطلقون عليه تارة «**العقل الكلي**» وتارة «**الوعي الكوني**». ويسود مفهوم «**الحكمة** Wisdom» أو «**الكلمة** Logos» - الذي يكمن في الكون ويشكله - في الطرح الديني، فيقابلنا في النصوص العبرية والمسيحية المبكرة، وفي الإسلام (كن فيكون)، ومع الفلاسفة الدينيين، وغيرهم. فما نظرة العلم إلى مفهوم الوعي الكوني؟

الوعي الكوني حقيقة علمية

لا يقف القول بالوعي الكوني أو العقل الكوني عند الفلاسفة الكبار، بل شاركهم الإقرار بذلك الكثير من كبار العلماء الطبيعيين، وللاستشهاد على ذلك أعود إلى أحد كبار العلماء المحايدين الذين لا تحركهم الأيديولوجية الدينية ولا المادية، وهو **أستاذ الفيزياء الرياضية الكبير «اللا أدري» بول ديڤيز**، انظر إليه يقول:

«إذا كان المخ وسطًا يتمثل/ يتجلى فيه العقل الإنساني، فإن العالم الفيزيائي كله يمكن أن يكون وسطًا يتمثل/ يتجلى فيه **عقل إله طبيعي**»[1].

«ينبهر الإنسان الفاهم دائمًا بالتناغم المعقد والتنظيم المدهش للعالم الفيزيائي. إن مدار الأجرام عبر السماء وتتابع الفصول المنتظم وبنية ندف الثلج وأنماط الكائنات الحية المتناغمة مع بيئتها و... كل هذه الأشياء منظمة بدقة لا يمكن إرجاعها إلى الصدفة غير العاقلة»[2].

«لا أستطيع أن أقتنع أن وجودنا في الكون كان مجرد منعطف قَدَري، أو حادثة في مسار

(1) Paul Davies, God and the New Physics, 1983, ch. 17, p. 223.

(2) Paul Davies, The Cosmic BluePrint, 1988, ch. 14, p. 203.

التاريخ، أو مشـهد عارض في دراما كونية. إننا مشاركون في الوجود بشكل عميق للغاية، ألا يتطلب ذلك **تنسيق واعٍ عاقل؟!**»[1].

«إن قوانيـن الطبيعة لا تخدم فقط التعقيـد والحياة، لكنها تخدم أيضًا العقل، دعني أقولها بوضوح؛ إن **العقل متغلغل في قوانين الطبيعة بشكل جذري**»[2].

«بالنسـبة لفيزيائي مثلي؛ **تكاد الحياة أن تكون سحرًا!** كيف تتناغم كل هذه الجزيئات البلهاء سويًا لتنجز أشياءً عبقرية؟!»[3].

هـذا رأي علمي لعالم لا أدري فيزيائي عظيم، إنه إقرار واضح بأن الوعي الذكي يقف وراء الوجود، وهو أيضًا وقوف على ضفاف الإقرار بالربوبية، ولا أدري إن كان بول ديڤيد قد فعلها أم ليس بعد.

وبالرغم من ذلك، دعنا نساير الماديين الاختزاليين.

مأذق الماديين

في هذا **المبحث** عن موقف العلم من مفهوم الوعي الكوني، **سنسـاير الماديين الاختزاليين في نظرتهم إلى الكون**، ونقبل إرجاع نشـأته إلى قوانين الفيزياء التي وجهت نشأة العناصر الأولية المادية كما وجهت انتظامها في منظومات. و إذا كان هذا المنظور يبدو بسـيطًا مستسـاغًا، بل وجذابًـا للماديـين، فإنه يقودنا إلى **عكس ما يشـتهي الماديون!**، إنه يقودنـا إلى **دحض المذهب المـادي**، الذي يقـول بأن ليس من الكون إلا المـادة! كما **يثبت مفهوم الوعـي الكوني** باعتباره مفهومًا علميًّا يمثل الحقيقة الوجودية الأصلية التي تسبق الوجود. **كيف ذلك؟!**

تأمـل هذه المفاهيم التي تترتب على الإقرار بمـا يفترضه الماديون من أن **قوانين الفيزياء قـد وجهت نشـأة الكون**، وتأمل تسلسـلنا معها حتى نصـل إلى **إقرار العلـم بمفهوم الوعي الكوني:**

(1) Paul Davies, The Mind of God, 1992, ch. 9, p. 232.

(2) Paul Davies, The fifth Miracle, 1999, ch. 10, p. 271.

(3) Paul Davies, The Eevie Silence, 2010, ch. 2, p. 31.

أولًا: إن **قوانين الفيزياء ليست متجسدة** في العناصر والمركبات الكيميائية والفيزيائية، بل هي توجه نشأتها وتتنبأ بسلوكها من خارج.

ثانيًا: من المنطقي أن القوانين التي تحكم نشأة وسلوك العناصر والكيانات المادية والعلاقة بينها **لا يمكن أن تكون من إفراز تلك العناصر والكيانات.**

ثالثًا: قوانين الفيزياء **موجودة من بدايتها بشكل مكتمل متكامل متناغم**، ولا يمكن أن تنشأ بالتطور الذي يفسر به الماديون نشأة الشفرات البيولوجية الوراثية (الدنا DNA).

رابعًا: حتى هؤلاء الذين يتحدثون عن تطور قوانين الفيزياء، أمثال عالم الفيزياء النظرية الأمريكي لي سمولين[1] فإنهم يُسَلِّمون بوجود مجموعة من **القوانين الأولية الأعلى (قوانين بدئية)** التي وجهت هذا التطور. وقد عبر الفيزيائي اللا أدري العظيم بول ديڤيز عن هذه القوانين الأولية البدئية بـ «**قدرة المادة على التنظيم الذاتي**»، كما عبر عنها الفيلسوف الملحد العظيم توماس ناجل بـ «**القوانين الطبيعية الغائية غير المادية**»[2].

خامسًا: من ثم، فإن تلك القوانين البدئية وأيضًا القوانين الفيزيائية لا بد أن تكون **موجودة مسبقًا** حتى تشكل الواقع لا أن تبزغ منه.

سادسًا: إن القوانين الأولية البدئية (التنظيم الذاتي والقوانين الطبيعية الغائية غير المادية) التي وجهت إنشاء هذا الكون ينبغي أن **تنطوي على الذكاء والغائية**، وإلا ما أخرجت هذا الكون الدقيق المتوازن القابل للتنبؤ.

سابعًا: معنى ذلك أن **الذكاء ذو القصد (الغائي) هو عامل سببي أولي** يوجه تشكيل وسلوك المادة، وليس من إنتاجها (كما يدعي الماديون).

ثامنًا: وأيضًا، إذا رجعنا إلى ما أثبتناه في الباب الثاني، من أن **الظواهر الكونية لا يكون لها وجود إلا إذا أدركها الوعي** وجعلها - قصدًا - حقيقة، عندها ينبغي الإقرار بوجود **حالة من الوعي الكوني النهائي** تكون هي المدرِك الذي يجعل الكون الفيزيائي كونًا موجودًا.

---

(1) Lee Smolin: الأستاذ بجامعة ووترلو، ولد عام 1955.

(2) ناقشنا ذلك بقدر من التفصيل في الفصل الأول من الباب الخامس.

تاسعًا: من ثم، فإن ادعاء الماديين بأن مادة الكون تولد ذكاءً كونيًّا يصبح هو الآلية المدركة (أي المولدة) له! هو **تعارض منطقي صريح.**

عاشرًا: كذلك ينبغي النظر إلى **الوعي والذكاء الإنساني،** القادر على إدراك (تشكيل) الكون عند كل شخص، باعتباره حاله من الوعي المستمد من وعي أعلى.

إن حجية هذه المفاهيم المتسلسلة قوية منطقية، مما دفع العديد من كبار العلماء إلى الإقرار **بالوعي الكوني وراء الوجود.** ومن هؤلاء سير جون ليسلي[1] الرياضي والفيزيائي البريطاني الشهير وروجر بنروز[2] أستاذ الفيزياء النظرية بجامعة أكسفورد.

وبذلك يصبح:

> **الوعي الكوني بالمنظور العلمي هو الحقيقة الوجودية الأصلية التي تسبق الوجود، والتي تولدت منها كل الأكوان. هذا الوعي هو مدرك كل الاحتمالات الممكنة، ومخرج بعضها إلى الوجود تبعًا للمبادئ التي يضعها في الاعتبار. إن هذا الوعي هو المصدر المعلوماتي الأعلى وراء نشأة الكون.**

لا شك أن هذا المفهوم هو جسر راسخ أسسته النظرة المعلوماتية، يحقق التواصل بين العلم والدين؛ كيف؟

نجيب عن هذا السؤال من خلال تأمل **علاقة مفهوم الوعي الكوني بالربوبية كما يقدمها المتدينون:**

ليس مجردًا وليس ماديًّا

إذا كان كثير من الماديين قد اضطروا إلى تبني القول بالوعي الكوني، فإن هؤلاء يعتبرون أن الوعي الكوني هو حالة من الوعي المجرد، ويرفضون القول بوجود كيان واع يكون هو المصدر المعلوماتي الأعلى وراء نشأة الكون، إذ يقربهم ذلك كثيرًا من القول بالإله. ونحن

(1) John leslie (1766 - 1832): مشهور بأبحاثه في الفيزياء الحرارية.

(2) Roger Penrose: ولد عام 1931.

بدورنا نرفض هذا التصور، **فلا معنى للقول بوعي مطلق مجرد دون كيان واع يتصف به!** بل يكاد ذلك أن يكون من المستحيلات العقلية.

وفي المقابل، ينطلق بعض المعارضين للقول بالوعي الكوني من أن **الوعي لا يمكن أن يوجد دون تجسد مادي**، ويرجع هذا الاعتراض في الحقيقة إلى ماديتهم وعجزهم عن تصور الكيانات غير المادية.

وقد وصلنا في المبحث السابق إلى أن الوعي الكوني ينبغي أن يكون خارجًا وأيضًا سابقًا للأكوان المادية، من ثم ينبغي أن يكون الكيان الحامل لهذا الوعي كيانًا غير مادي. لذلك يصبح الصواب أن نقول:

إن الوعي الكوني يحتاج إلى كيان واع غير مادي.

وهذا يتماشى مع ما سبق أن أثبتناه من أن **المصدر المعلوماتي الأول - الإله - ينبغي أن يكون غير مادي.**

وهذا لا يتعارض مع حقيقة أن الوعي الإنساني يتواصل مع جسد الإنسان المادي، ذلك أن الوعي الإنساني ليس هو المصدر المعلوماتي الأول ولا الوعي الأول، وبذلك أصبح الإنسان المادي الواعي كيانًا مختلفًا تمامًا عن الأشياء المادية التي لا وعي لها بالرغم من أنه يشاركها ماديتها.

لقد كانت فكرة الوعي الكوني أساسية عند أفلاطون، وتابعه فيها اللاهوتي أوغسطين الذي تبنى أن العقل أو الوعي يشارك في التفسير النهائي للكون، ذلك أن العقل هو الذي يختزن الاحتمالات بشكل غير مادي، وأنه هو الذي يمكن أن يتعقل الوجود Reason. وخلال العقود الثلاثة الأخيرة قام بعض العلماء بإحياء هذا المعنى (جون ليسلي 1989 - روجر بنروز 1994).

معنى ذلك:

إن العقل هو المكون الأساسي للواقع النهائي، وأنه سابق لكل الكيانات الفيزيائية.

ونظرًا لأن تحقيق أي احتمال (خروجه إلى الوجود المدَرك) يتم عن طريق العقل الكوني، فمعنى ذلك أن:

الوعـي الكوني هو الكيان الوحيد الذي لا يمكن أن يخرج إلى الوجود المدرَك أو أن تصبـح عـلى غير طبيعتـه، إذ أنـه لازم لإدراك بقية الاحتـمالات كلها.

سبحانك ربي عَزَّوَجَلَّ.

أوهام دوكنز

نظرًا لحجية مفهوم الوعي الكوني ودلالته حتمًا على الوجود الإلهي، سعي كبير الملاحدة الجدد ريتشارد دوكنز جاهدًا إلى تفنيده.

لقـد افترض دوكنـز أن الوعي الكوني ينبغي أن يكـون معقدًا للغاية، وعندمـا قارنه بوجودنا المـادي الذي هو بسـيط للغاية، اسـتنتج أن القـول بالوعي الكوني المعقد هو تفسـير شيء محتمل (الكون البسـيط) بشيء ذي احتمالية أبعد (الوعي الكوني المعقد)! وهذا لا يمكن قبوله كتفسـير منطقي!

يكمن **الخطأ في طرح دوكنز** في تصوره أن الأبسط ينبغي أن يكون أكثر احتمالًا من الأعقد، بينـما نحن نعرف العديد والعديد مـن الحالات المعقدة التي تفوق وجودًا حالات بسـيطة، **ولا علاقة بمقدار الاحتمالية بالتعقيد والبساطة.** فنحن مثلًا قادرون على صناعة سيارة معقدة لكننا عاجزين عن صناعة ذرة هيدروجين بسـيطة. **إن الاحتمالية ينبغي أن تكون خارج حسـاباتا عند دراسـة وجود الشيء**، فالأقل احتمالية قد يوجـد إذا توافرت مقدماته، بينما يعجز الأكثر احتمالية عن الوجود إذا غابت مقدماته.

القارئ الكريم

تعمـدت أن يكـون هـذا الفصل مختـصرًا للغاية، ليكـون كالرصاصة الموجهـة إلى هدف فتصيب كبده بأقل جهد أو معاناة.

وبالمثل، سيكون حصادي للفصل مختصرًا أيضًا.

إن الوعي الكوني بالمنظور العلمي هو **الحقيقة الوجودية الأصلية التي تسبق الوجود**، والتي

تولـدت منها كل الأكوان. **هذا الوعي هو مـدرك كل الاحتمالات الممكنة، ومخرج بعضها إلى الوجود تبعًا للمبادئ التي يضعها في الاعتبار. إن هذا الوعي هو المصدر المعلوماتي الأعلى وراء نشأة الكون.**

معنى ذلك أن الوعي الكوني يحتاج إلى كيان واع غير مادي، وأن **العقل هو المكون الأساسي للواقع النهائي**، وأنه سابق لكل الكيانات **الفيزيائية.**

ومن ثم، **الوعي الكوني هو الكيان الوحيد الذي لا يمكن أن يخرج إلى الوجود المدرَك أو أن تصبح على غير طبيعته، إذ أنه لازم لإدراك بقية الاحتمالات كلها.**

سبحان ربي عَزَّوَجَلَّ.